

الطبّ الفكريّ

معايير وضوابط

Daleel

Al-Daleel Foundation
for Doctrinal Studies

سلسلة إصدارات مؤسسة الدليل | 6 | الكراس

سلسلة إصدارات مؤسسة الدليل | 6 | الإصدار

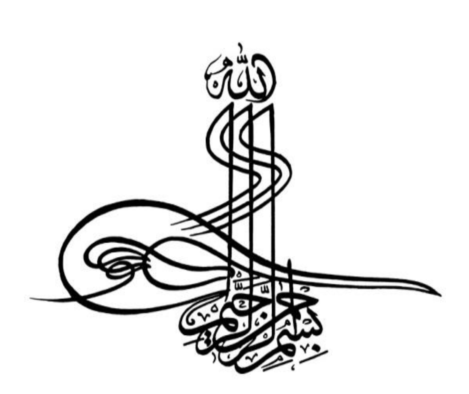
الطبّ الفكريّ

معايير وضوابط



http://aldaleel-inst.com
www.facebook.com/aldaleel.inst


شبكة الفكر
alfeker.net


بسم الله الرحمن الرحيم

هويّة الكراس

اسم الكراسة: الطب الفكري معايير وضوابط

المؤلّف: الدكتور أيمن المصري

المراجعة العلميّة: المجلس العلميّ في مؤسّسة الدليل

التقويم اللغويّ: علي گيم

تصميم الغلاف: محمدحسن آزادگان

الإخراج الفنّيّ :فاضل السوداني

الناشر: مؤسّسة الدليل للدراسات والبحوث العقديّة



http://aldaleel-inst.com
www.facebook.com/aldaleel.inst

كلمة المؤسسة

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمـد لله رب العـالمين والصـلاة والسـلام على خـير الأنـام أبي القاسم محمّدٍ وعلى آله الطيّبين الطاهرين، وبعد.

تعدّ المنظومة الفكريّة العقديّة من أهمّ دعائم شخصـيّة الإنسـان وتميّزه البشريّ؛ فهي الّتي تحدّد نظرته العامة للكون وعلاقتـه بـه، ولها تأثير مباشرٌ على مساره السلوكيّ وطبيعة تعاطيه مع محيطه ونمط الحياة الّتي يعيشها، هذا على صعيد الفرد، وأمّا على صـعيد المجتمـع فإنّ المنظومة الفكريّة العقديّة تـنعكس على مجمـل العلاقـات بـين أفراد المجتمع، كما أنّها تحدّد نـوع النظـم (السياسـيّة والاقتصـاديّة والاجتماعيّة) الّتي تحكم تلك العلاقات.

وعلى هٰذا فالمنظومة الفكريّة والعقديّة تتحكّم بمصير الإنسـان، فإمّا أن تصنع له سعادةً واستقرارًا وحياةً كريمـةً، وإمّـا أن تغرقـه في شقاءٍ وفوضى وإذلالٍ.

فينبغي للإنسان أن يعتني بعقيدتـه، وأن يطمـئنّ لسـلامتها مـن الانحراف والتشويه، وأن يبادر لمعالجة ما يشوبها بسبب الشبهات.

فاليوم وفي ظلّ الظروف الراهنة الّـتي يعيشـها العـالم الإسـلاميّ بشكلٍ عامٍّ، وبلدنا العراق بشكلٍ خاصٍّ، ندرك أنّ هناك تهديدًا كبيرًا للفكر والعقيدة الإسلاميّة الحقّـة ومـن دوائـر مختلفـةٍ، ونستشـعر حاجة مجتمعنا الماسّة والملحّة لبيان معالم العقيدة الصحيحة، ورفـع الشبهات الّتي ألبست على بعض الناس عقائدهم.

من هنـا جـاء مشـــروع مؤسّسـة الدليـل للبحـوث والدراسـات العقديّة التابعة للعتبـة الحسـينيّة المقدّسـة؛ تلبيـةً لهٰـذه الحاجـة، وليحمل على عاتقه مسؤوليّة التصدّي لدفع الشبهات، والتأكيـد على العقائد الحقّة بالوسائل والإمكانيّات المتاحة؛ وذٰلك للمساهمة في سدّ الفراغ الفكريّ العقديّ الّذي يعاني منه المجتمع.

ومن أبرز تلك الوسائل المعتمدة في مشروعنا أسلوب البحث وفق رؤيةٍ علميّةٍ موضوعيّةٍ، وبخطابٍ سـلسٍ شـيّقٍ يتنـاغم مـع أغلـب شرائح المجتمع، فكان قرار المجلس العلميّ الموقّر في المؤسّسة إطلاق مشروع سلسلة الكرّاسة العقديّة، وهي مؤلّفـاتٌ مـوجزةٌ في شـكلها وحجمها، كبيرةٌ في مضمونها وأهدافها؛ لمعالجة موضـوعاتٍ محـدّدةٍ، وحسب الحاجة الفعليّة.

وبعد انفتاح الساحة الفكريّة والعقديّة وتطوّر وسائل التواصل الاجتماعيّ وسهولة اقتنائها في عراقنا الحبيب وبقيّة الدول الإسلاميّة، ونتيجة استغلال ذٰلك من بعض الجهات والشخصيّات ذات المشاريع الفكريّة المنحرفة عن جادّة الصواب، في نشر الأفكار المعادية للاعتقاد الدينيّ، ومن أهمّها الفكر الإلحاديّ واللادينيّ وفصل الدين عن الحياة، رأت المؤسّسة طرح مجموعةٍ من البحوث على شكل كراريس توضّح حقيقة مثل تلك الأفكار والأطروحات، فكان منها هٰذه الكرّاسة الموسومة (الطب الفكري معايير وضوابط).

وختامًا تتوجّه مؤسّسة الدليل بالشكر الجزيل لعضو المجلس العلميّ فيها الأستاذ الدكتور (أيمن المصري)؛ لما بذله من جهدٍ قيّمٍ في كتابة هٰذا البحث، ونرجو له التوفيق والسداد، والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا محمّدٍ وآله الطيّبين الطاهرين.

المقدّمة

إنّ الصحّة بحسب معناها العامّ في اللغة هي الخلو مـن كلّ عيـبٍ وداءٍ[1]، وتعني حالة الاعتـدال والاسـتواء، ويمكـن أن نعـبّر عنهـا بنحوٍ أفضل بقولنا: الصحّة هي البقاء على الحالة الطبيعيّة، وبالتـالي يكون المرض هو الخروج والانحراف عن هٰـذه الحالـة الطبيعيّـة إلى طرفي الإفراط أو التفريط.

ولا شكّ أنّ الصحّة بهٰذا المعنى هي ما يطلبـه ويتمنّـاه كلّ إنسـانٍ بطبعه، وفطرته؛ لأنّها مبـدأ الراحـة والاعتـدال، ومنشـأ السـعادة والانسجام.

ولكن لا ينبغي للإنسان العاقل أن يحصر معنى الصـحّة المطلوبـة في صحّته الجسميّة، كما يمكن أن يتبـادر إلى كثـيرٍ مـن الأذهـان، بحيث يكون متوجّهًا دائمًـا إلى الحفـاظ على صـحّة بدنـه، ويكـون

1- لسان العرب.

حريصًا على دفع الأمراض والأسقام عنه دون غيرها من الأبعاد الإنسانيّة.

إنّ الإنسان في الواقع ليس مجرّد جسمٍ مادّيٍّ كما هو في الظاهر، بل له بعدان آخران، بعدٌ نفسيٌّ عاطفيٌّ انفعاليٌّ، وبعدٌ عقليٌّ روحيٌّ فكريٌّ، وهٰذا البعد الثالث يمثل أعمق جزءٍ من وجود الإنسان، بل يمثّل في الواقع حقيقة الإنسان وجوهره الباقي بعد الموت.

وقد اعتنى الأطبّاء البشريّون منذ قديم الزمان بالصحّة الجسميّة، وأولوها عنايةً كبيرةً، من ناحية التشخيص والعلاج والوقاية، وقاموا بتطوير العلوم الطبّيّة البدنيّة بنحوٍ كبيرٍ، وحقّقوا إنجازاتٍ عظيمةً بالفعل.

وبمرور الزمان اكتشف هٰؤلاء الأطبّاء أنّ هناك العديد من الأمراض الجسميّة ليس لها أيّ أسبابٍ عضويّةٍ، وبعد البحث والتحقيق تبيّن لهم أنّ منشأها اختلالاتٌ عصبيّةٌ نفسيّةٌ، فقاموا بتصنيف هٰذه الأمراض تحت اسم الأمراض النفس ـ جسمانيّة (Psychosomatic Diseases).

وقد دعاهم ذٰلك إلى تأسيس طبٍّ جديدٍ تحت اسم الطبّ النفسانيّ؛ ليعتني بالصحّة النفسيّة للإنسان، وسعوا إلى تطويره أيضًا، بعد أن التحق مجموعةٌ من الأطبّاء البشريّين بهٰذا التخصّص.

وعلى الرغم من تحقيقهم بعض النجاحات، بيد أنّهم لم يستطيعوا أن يُحقّقوا نفس الإنجازات الّتي حقّقها الأطبّاء البشريّون في الطبّ الجسمانيّ؛ لأسبابٍ سوف نتعرّض لها لاحقًا إن شاء الله تعالى.

وفي أواخر القرن العشرين اكتشف الأطبّاء النفسانيّون أنّ هناك أمراضًا نفسيّةً كثيرةً ليست معلولةً للمشاكل الاجتماعيّة التقليديّة المعروفة، بل منشأها الاختلال في الرؤية الكونيّة للإنسان، ونظرته إلى الحياة، بنحوٍ يفقد الإنسان معنى الحياة، ويفقد معها الأمل فيها؛ ممّا يؤدّي إلى اضطراباتٍ نفسيّةٍ كثيرةٍ، تشتدّ بعروض المشاكل البسيطة، وأمراض الشيخوخة، وبالتالي فهي معلولةٌ لأسبابٍ فكريّةٍ واعتقاديّةٍ تنبع من أعمق جزءٍ في روح الإنسان، وسمّوها بالأمراض الروحيّة (Spiritual Disorders)، ممّا دعاهم إلى تأسيس ما أسموه بعد ذلك بالصحّة المعنويّة أو الروحيّة (Spiritual Health).

وقد اعترفت منظّمة الصحّة العالميّة (WHO) في عام 1984م، في ضمن مؤسّساتها الدوليّة بالصحّة المعنويّة، بحيث أضحت الصحّة بمعناها العامّ تشمل الصحة الجسميّة، والنفسيّة، والمعنويّة [1].

وموضوع هذه الرسالة هو بيان أحوال الصحّة المعنويّة الّتي أؤثر

1- https://en.wikipedia.org/wiki/Spiritual_Health

أن أسمّيها بالصحّة العقليّة؛ لأسباب سأبينها فيما بعد إن شاء الله تعالى.

أمّا الغاية من هٰذه الرسالة فهو بيان أهمّيّة وخطورة الصحّة المعنويّة على سعادة الإنسان، ومصيره في هٰذه الحياة؛ لكي يتبيّن بعدها أنّ الأمراض العقليّة المتعلّقة بالجانب الفكريّ هي أخطر الأمراض، ومنشأ الكثير للأمراض النفسيّة والجسميّة، ممّا يدفعنا بعد ذٰلك للمحافظة والعناية بصحّتنا العقليّة أكثر من أيّ شيءٍ آخر، ونعي أنّ العقل السليم في الجسم السليم، والجسم السليم في العقل السليم أيضًا.

وسوف نتعرّض أوّلًا وباختصارٍ لأحوال الصحّة الجسميّة، ثمّ ننتقل منها إلى البحث عن الصحّة النفسيّة، ثمّ الصحّة المعنويّة من منظور الغربيّين، وبعدها ننتقل إلى المسألة الرئيسة، وبيت القصيد فيها، وهي الصحّة العقليّة.

أوّلًا: الصحّة الجسميّة (Physical Health)

المقصود من الصحّة الجسميّة في عرف الأطباء هو أن تكون كلّ أعضاء البدن على حالتها الطبيعيّة، بحيث يعمل كلّ عضوٍ بوظيفته

الطبيعيّة، وبنحوٍ ينسجم مع سائر الأعضاء.

وقد سعى الأطبّاء في بداية الأمر إلى البحث عن معـايير الصـحّة الجسميّة، الّتي يتمكّنون من خلالها من تشخيص الأمراض المختلفة الّتي تصيب جسم الإنسان، وقد اعتمدوا في تحقيق ذٰلك على المـنهج الحسّيّ التجـريبيّ، القـائم على تكـرار المشـاهدات الحسّـيّة، وهـو يتناسب مع طبيعة موضوع البحث، أي جسم الإنسان.

وقد استطاعوا أوّلًا من خلال علـم التشـــريح (Anatomy) أن يتعرّفوا على أعضاء جسم الإنسان الخارجيّـة والداخليّـة، وأجزائهـا الذاتيّـة، وأحجامهـا، ومواضـعها الطبيعيّـة، فتوصّـلوا إلى أنّ أيّ اختلالٍ في أجزائها أو أحجامها أو مواضعها دليلٌ على وجـود المـرض الّذي يعرّفونه بأنّه انحرافٌ عن الحالة الصحّيّة الطبيعيّة.

واســـتطاعوا ثانيًـــا مـــن خـــلال علـــم وظـــائف الأعضـــاء (Physiology) أن يكتشفوا الوظائف الطبيعيّة لكلّ أعضـاء البـدن وخلاياه، بحيث يُعدّ أيّ اختلالٍ فيها دليلًا على المرض.

فتمكن الأطبّاء من خلال هٰذين العلمين مـن اكتشـاف معـايير الصحّة الجسميّة وتحصيلها بنحـوٍ مـنطقيٍّ علـميٍّ موضـوعيٍّ، حـتّى تمكّنوا من خلال تلك المعـايير مـن تشـخيص الأمـراض الجسـميّة

المختلفة.

ثمّ بعد ذٰلك شرعوا في البحث عن طرق العلاج للأمراض المختلفة، وذلك باستعمال المنهج الحسّيّ التجريبيّ كذٰلك، فحقّقوا بعدها نجاحاتٍ كبيرةً، سواءٌ على مستوى العلاج الدوائيّ، أم الجراحيّ.

ولم يكتف الأطبّاء البشريّون بالمجال العلاجيّ، بل تخطّوه إلى المجال الوقائيّ، إذ إنّ الوقاية خيرٌ من العلاج، ووضعوا مراحل ثلاثًا للوقاية من الأمراض:

الأولى: تهدف إلى اجتناب وقوع المرض من أصله، وذٰلك عن طريق اجتناب العوامل الخطرة(Risk Factors) الّتي تمهّد الأرضيّة لوقوع المرض، كالتدخين والعادات السيّئة الأخرى، وكذٰلك عن طريق التطعيم المنتظم(Vaccination)[1].

الثانية: تهدف إلى الاكتشاف المبكّر للأمراض، وعلاجها على الفور، عن طريق الفحص الدوريّ (check up)، لاكتشاف

1- Katz, D., & Ather, A. (2009). Preventive Medicine, Integrative Medicine &The Health of The Public. Commissioned for the IOM Summit on Integrative Medicine and the Health of the Public.

أمراضٍ مثل الضغط، والسكّريّ، والسرطانات المختلفة[1].

الثالثة: وتهدف إلى احتواء المرض بعد حصوله، إمّا عن طريق التدخّل الجراحيّ أو الكيميائيّ كما في بعض الأورام السرطانيّة، أو محاولة استعادة الحالة الطبيعيّة (Rehabilitation) عن طريق العلاج الطبيعيّ (Physiotherapy)، بعد حصول الشلل الناجم من الجلطات الدماغيّة مثلًا[2].

ثانيًا: الصحّة النفسيّة (Psychological Health)

الصحّة النفسيّة ـ كما جاء في قاموس لاروس ـ تعني «التوافق والانسجام بين الوظائف النفسيّة، والقدرة على مواجهة الأزمات النفسيّة الّتي تعترض الفرد، ثمّ الإحساس الإيجابيّ بالسعادة والرضا مع النفس والبيئة»[3].

وهٰذا يعني بكلّ بساطةٍ أنّ الصحّة النفسيّة هي حالة الاستقرار

1- Patterson, C., & Chambers, L. W. (1995). Preventive health care. The Lancet, 345, 1611-1615.

2-Katz, D., & Ather, A. (2009). Preventive Medicine, Integrative Medicine &The Health of The Public. Commissioned for the IOM Summit on Integrative Medicine and the Health of the Public.

3- د. حمزة گنجى، روانشناسى كار، ناشر ساولان، تهران، 1367.

النفسيّ الحاصلة من الانسجام مع الذات والواقع الخارجيّ.

وقد سعى الأطبّاء النفسانيّون كزملائهم من الأطبّاء البشريّين إلى تحصيل معايير الصحّة النفسيّة الّتي يتمكّنون من خلالها من تشخيص الأمراض النفسيّة، ولٰكنّهم وقعوا في خطإٍ منهجيٍّ كبيرٍ عندما استعملوا في مورد النفس المجردة المنهج الحسّيّ ـ التجريبيّ المختصّ بالجسم المادّيّ؛ ممّا حرمهم من معرفة حقيقة النفس في ذاتها، ومن معرفة وظائفها الحقيقيّة، ممّا اضطرهم إلى اللجوء إلى البحث عن سلوكها المحسوس بدلًا من ذاتها غير المحسوسة.

وقد أدّى بهم ذٰلك إلى أن يبحثوا عن معايير للصحّة النفسيّة، لا تفتقر إلى علم تشريح النفس، أو وظائفها الذاتيّة، وذٰلك إمّا باعتراف نفس المريض بأنّه يعاني من الاضطرابات النفسيّة، كالقلق والاكتئاب، أو بمخالفة سلوكيّات المريض للسلوك العرفيّ الشائع، وهٰذا ـ كما هو واضحٌ ـ مجرّد معايير ظنّيّةٍ نسبيّةٍ في أغلب الأحيان.

وعلى أي حالٍ فقد اعتمدوا على معايير كهٰذه، وشرعوا في التعامل معها أيضًا بالأدوية الكيميائيّة من المهدّئات، ومضادّات الاكتئاب. ومع كثرة عوارضها الجانبيّة فقد حقّقوا بعض النجاحات، ولٰكنّها لم تكن على المستوى المطلوب، ولم يفلحوا في الغالب في تحقيق العلاج الجذريّ للكثير من الأمراض النفسيّة.

ثالثًا: الصحّة المعنويّة (Spiritual Health)

كما أنّ الأطبّاء الجسمانيّين اكتشفوا تأثير الحالات النفسيّة على جسم الإنسان، فاستوجب ذلك تأسيس الطبّ النفسيّ؛ فإنّ علماء النفس اكتشفوا بمرور الوقت تأثير الحالة الفكريّة الروحيّة للإنسان (رؤيته للحياة) على الصحّة النفسيّة له، وانعكاسها الشديد على مشاعره وعواطفه وسائر انفعالاته النفسيّة الشخصيّة والاجتماعيّة، وبالتالي على صحّته الجسميّة، فاقتضى ذلك أن يؤسّسوا علمًا جديدًا ومستقلًّا باسم الطبّ المعنويّ (Spiritual Medicine)، وسنتعرّض أيضًا هنا لتعريف الصحّة المعنويّة، وأهمّيّتها عندهم، وموازينها الصحّيّة، كما فعلنا مع الصحّة الجسميّة والنفسيّة من الناحية العلميّة المعاصرة.

1.تعريف الصحّة المعنويّة

قالوا إن الصحّة المعنويّة «هي الّتي تجعل لحياتك معنى، فهي تدلّك على ماهيّتك ولماذا أنت هنا، وما هو الهدف من الحياة، وهي أعمق شيءٍ فيك يهبك القوّة والأمل والنشاط»[1].

1- Thompson Rivers University (TRU) Counseling

وهٰذا التعريف يشير بوضوح إلى أنّ الصحّة المعنويّة تتعلّق بالجانب الفكريّ الفلسفيّ في الإنسان، ورؤيته الكونيّة لنفسه، وللعالم والحياة من حوله. وقد أشار البعض لمعانٍ قريبةٍ من هٰذا المعنى، مثل[1]:

- هي الشيء الّذي يجعلنا نشعر بمعنى الحياة وهدفها.
- هي الّتي تجلب لنا الأمل في أوقات الشدّة والضياع.
- هي الّتي تشجّعنا على إقامة أحسن العلاقات مع أنفسنا ومع الآخرين.
- هي الّتي تلعب دورًا كبيرًا في أوقات المحنة والمعاناة، والأزمات العاطفيّة، وأثناء الأمراض الجسميّة والنفسيّة، وعند الشيخوخة واقتراب الموت.

2. أهمّيّة الصحّة المعنويّة

أثبتت الدراسات الحديثة أنّ الأفراد الّذين يتمتّعون بصحّةٍ معنويّةٍ وروحيّةٍ جيّدةٍ يعيشون حياةً أطول من غيرهم[2]، كما أثبتت

1- The Royal College of Psychiatrists' Spirituality & Psychiatry Special Interest Group.
2- Strawbridge WJ, Cohen RD, Shema SJ, Kaplan GA. Frequent

الدراسات أنّهم أيضًا أكثر مقاومةً للأمراض والآلام والتوتّر، وأنّهـم يتمتّعون بحياةٍ أفضل من غيرهم[1]، وأنّ التديّن يعجّـل مـن سرعـة الشفاء من الأمراض والبرء من الجراحات[2].

ومن أجل كلّ هٰذا فقد أصبحت الصحّة المعنويّة مادّةً أساسـيّةً في معظم الجامعات الطبّيّة في أمريكا[3]، وسوف نبيّن في مبحث الصحّة العقليّة الفلسفيّة بنحوٍ تفصيليٍّ كيفيّة توقّف السلوك الإنسـانيّ على نمط تفكير الإنسان ورؤيته للحياة.

---

attendance at religious services and mortality over 28 years. Am J Public Health. 1997;87:957–961.

1- Yates JW, Chalmer BJ, St James P, Follansbee M, McKegney FP. Religion in patients with advanced cancer. Med Pediatr, Oncol. 1981; 9: 121– 128.

2- Harris RC, Dew MA, Lee A, Amaya M, Buches L, Reetz D, Coleman C. The role of religion in heart-transplant recipients› long-term health and well-being. Journal of Religion and Health, 1995;34(1):17–32.

3- Association of American Medical Colleges. Report I: Learning Objectives for Medical Student Education: Guidelines for Medical Schools. Medical School Objectives Project. Washington, DC: American Association of Medical Colleges; 1998

3. ميزان الصحّة المعنويّة

كما سعى علماء النفس اعتمادًا على منهجهم الحسّيّ التجريبيّ إلى وضع موازين وضوابط علميّةٍ للصحّة النفسيّة عن طريق الاستبطان الذاتيّ الوجدانيّ، وملاحظة السلوك الشخصيّ والاجتماعيّ، فقد سعوا مرّةً أخرى؛ لأنّ يضعوا موازين للصحّة العقليّة على نفس المنوال السابق، ومع اعترافهم بكون موضوع بحثهم أمرًا معنويًّا غير محسوسٍ، فلم يكلّفوا أنفسهم عناء البحث عن منهجٍ آخر مناسبٍ لموضوع علمهم الجديد، وأصرّوا على اعتماد نفس المنهج الحسّيّ، ولكنّ ينبغي الإشارة هنا إلى أن أغلب الاضطرابات النفسيّة لكونها محسوسة بالوجدان، ويشعر بها كلّ إنسان، ويراجع من أجلها الطبيب النفسانيّ، وكذلك السلوك الفرديّ والاجتماعيّ المشاهد عند الناس، له نحوٌ من الضوابط العرفيّة العامّة والمشتركة بين الناس والمجتمعات البشريّة، بحيث غالبًا ما يتميّز الشخص السويّ عن غيره داخل المجتمع البشريّ، فقد تمكن علماء النفس ـ إلى حدٍّ ما ـ من وضع معايير وقوانين علميّةٍ للصحّة النفسيّة، وعلائم للأمراض والاختلالات النفسيّة.

أمّا الاختلالات المعنويّة والانحرافات الفكريّة فليس لها موازين

علميّةٌ موضوعيّةٌ عندهم بناءً على منهجهم الحسّيّ، حيث لا توجد لديهم ضوابط علميّةٌ موضوعيّةٌ للتفكير الصحيح تميّزه عن التفكير السقيم، أو قواعد فلسفيّةٌ موضوعيّةٌ واقعيّةٌ عن فلسفة وجود الإنسان والحياة، أو كيفيّة سلوكه العمليّ؛ وذٰلك بعد إعراضهم عن المنهج العقليّ الميتافيزيقيّ.

وكان السبب في هٰذا الإعراض هي المحاولات الحثيثة والكثيرة الّتي بذلها فلاسفة الغرب ومفكّروهم منذ بداية عصر الحداثة والتنوير لإقصاء المنهج العقليّ التجريديّ، وإحلال المنهج الحسّيّ التجريبيّ محلّه؛ هروبًا من التورّط في المباحث الفلسفيّة الميتافيزيقيّة، الّتي يمكن أن ترجع بهم إلى أحضان الدين والكنيسة مرّةً أخرى.

ولا يجد الباحث صعوبةً في فهم ذٰلك بمجرّد مراجعة أقوال علماء أمثال فرنسيس بيكون[1] وجون لوك[2]، وهيوم[3]، وكانط[4]، وكونت،

---

1 - فرنسيس بيكون، آراؤه وآثاره، ص 161.
2 - جون لوك، تاريخ الفلسفة الحديثة، ص 143.
3 - دافيد هيوم، تحقيق في الذهن البشري، ف 4.
4 - كانط، نقد العقل المحض، ص 87.

وراسل وأصحاب الوضعيّة المنطقيّة، وحلقة فينّا1، وستيوارت مل2، وغيرهم من المفكّرين المحدثين والمعاصرين.

وبعد مرور قرونٍ مديدةٍ، واستشراء الأمراض النفسيّة والمعنويّة بينهم، واكتشافهم لمناشئها الفكريّة، تنبّهـوا إلى أنّ فقـدان الرؤيـة الكونيّة الصحيحة عـن الإنسـان والحيـاة، والاسـتغراق في الأمـور المادّيّة، والابتعـاد عـن الديـن والفلسـفة الإلٰهيّـة والروحانيّـة، هي السبب الرئيس لكلّ هٰذه الأمراض النفسيّة والمعنويّة الّتي تعاني منها البشريّة، لا سيّما في المجتمعات الغربيّة المادّيّة.

وحينها ارتفعت الأصوات عندهم بضـــرورة الرجـوع إلى الحيـاة الروحيّة، والعناية بالصحّة المعنويّة كعنايتهم بالصحّة البدنيّة، كمـا سنشـير إلى ذٰلـك في مطـاوي البحـث، وقـد تعهّـدت جميـع الدول الأوربّيّة في مؤتمر كوبنهاجن بالاهتمام بالجانب المعنويّ لشعوبها على كلّ الأصعدة السياسيّة والاقتصاديّة والثقافيّة[3].

ولٰكن عندما عادوا لم يكن لديهم المنهج العلميّ الموضـوعيّ الّذي

---

1 - كارناب، البناء المنطقيّ للعالم، ص 573.
2 - جون ستيوارت مل، سلسلة نوابغ الفكر الغربي، ص 141.
3- http://www.visionoffice.com/socdev/wssdco.htm.

يحتاج إليه كلّ طبيبٍ، والّذي يمكن أن يعتمدوا عليه في الخـوض في عالم المعنى وما وراء الحسّ، بعـد فقـدانهم الوسـيلة الوحيـدة الّـتي أضاعوها بأنفسهم، تلك الوسيلة الّتي كان من الممكن أن يهتدوا بها في غياهب هٰذا العالم الواسع، الّذي تتجلّى فيـه حقيقـة الإنسـانيّة، ومبادئ الصحّة العقليّة؛ ولذٰلك فقد اضطرّوا في نهاية الطريق إلى أن يلجأوا لبعض المعايير الوجدانيّة العامّة الّتي تعكس الصحّة المعنويّة، كطرح مجموعةٍ من الأسئلة على المرضى يستفسرون مـن خلالهـا على الحالة المعنويّة والفكريّة عندهم[1].

ولٰكنّها بطبيعة الحال معايير ظنّيّةٌ مبهمةٌ وناقصةٌ؛ لقصور المنهج الحسّيّ عن الوصول إلى مبادئ الصحّة المعنويّة، بعد ضياع الوسـيلة الّتي كانت من الممكن أن تكشف لهم طبيعة البعد الـروحيّ والحيـاة العقليّة عند الإنسان.

أمّا العلاج، فقد سعوا لوضـع عـدّة توصـياتٍ معنويّـةٍ؛ لتوجيـه المـريض وتحسـين حالتـه الروحيّـة، وهي أشـبه بـالمواعظ الدينيّـة

1- Royal College of Psychiatrists.

والأخلاقيّة، مثل[1]:

ـ تعلّم كيف تواجه لحظات الألم والمعاناة؛ حتى يتبيّن لك كم أنت صحيحٌ معنويًّا.

ـ تعوّد على العفو والصفح عن الآخرين.

ـ عليك بالصلاة والعبادة والتأمّل.

ـ عش مرحًا في حياتك.

ـ شارك في المراسم والفاعليّات الدينيّة.

ـ ساهم في أعمال الخير.

ـ استمتع بالطبيعة الخلّابة.

ـ اقض بعض الوقت في التفكير والتأمّل العميق والعبادة.

ـ مارس اليوغا.

ـ استمع إلى الموسيقى والترانيم المقدّسة.

---

1 - المصدر السابق.

ـ اتل الكتاب المقدّس.

ـ اقض بعض الوقت في القراءة التأمّليّة للقصّة أو الفلسفة.

ـ قوّ العلاقات الأسريّة، واحتفظ بالأصدقاء الصالحين والمؤنسين.

ـ مارس الرياضة الجماعيّة.

ومن الجدير بالذكر أنّ السنوات الأخيرة شهدت ازدياد الحاجة للعلاجات المعنويّة، وأصبحت مشافي الصحّة العقليّة الآن قريبةً من أماكن العبادة، مع مشاركة رجال الدين في العناية الصحّيّة بها، بعد أن أصبح ثابتًا اليوم أنّ المتديّنين يتمتّعون بصحّةٍ معنويّةٍ أفضل من غيرهم.

رابعًا: الصحّة العقليّة (Intellectual Health)

هٰذه هي الصحّة هي الّتي نريد أن نؤسّس لها بديلًا لما يسمّونه اليوم في الغرب بالصحة المعنويّة (Spiritual Health).

ولكن قبل الولوج في هٰذا البحث التأسيسيّ، نريد أن نشير إلى ثلاثة أمورٍ ضروريّةٍ في التمهيد لهٰذا العلم الجديد، وهي الصلاحيّة المعرفيّة للمنهج الحسّيّ التجريبيّ، والصلاحيّة المعرفيّة للمنهج العقليّ التجريديّ، وطريق تحقق الصحّة والسعادة.

1. الصلاحيّة المعرفيّة للمنهج الحسيّ التجريبيّ:

إذا أردنا أن نحلّل هٰذا المنهج المعرفيّ المعتمد من قبل أطبّاء البدن والنفس والروح، نجد أنّه مؤلّفٌ من شقّين: الأوّل هو تكرار المشاهدة الحسّيّة من أجل تتبّع صدور آثارٍ أو ظواهر معيّنةٍ من الإنسان تحت ظروفٍ مختلفةٍ؛ لإثبات وجود نحوٍ من العلاقة المستمرّة أو الغالبة بين الأثر ومبدئه في الإنسان، وأمّا الشقّ الثاني فهو عمليّة تعميمٍ مستقبليٍّ لدوام أو أكثريّة صدور الأثر عن مبدئه؛ لنستنتج في النهاية أنّه كلّما وجدنا هٰذا الأثر يصدر عن الإنسان، فإنّنا نعلم بوجود مبدئه فيه.

ولنضرب ثلاثة أمثلةٍ تطبيقيّةٍ مختلفةٍ من الطبّ الجسميّ والنفسيّ والمعنويّ؛ لهٰذا المنهج العلميّ التجريبيّ:

الأوّل: اكتشف الأطبّاء البشريّون بالتتبّع الحسّيّ أنّ المرضى الّذين يعانون من ألمٍ شديدٍ ضاغطٍ من الناحية اليسرى من الصدر وينتشر إلى اليد اليسرى، ويزداد عند الحركة، غالبًا ما يعانون من مرض ضيق الشرايين التاجيّة للقلب، فأدركوا وجود علاقةٍ ذاتيّةٍ بينهما، فوضعوا قانونًا كلّيًّا ينصّ على أنّ كلّ من يعاني من هٰذه الأعراض مثلًا فهو في الغالب مصابٌ به هٰذا المرض القلبيّ، ومن منطلق هٰذا القانون العامّ يستطيع الأطبّاء أن يشخّصوا هٰذا المرض

القلبيّ عند أيّ مريضٍ يعاني من هٰذه الأعراض، وقد قاموا بتعزيز هٰذا التشخيص بنفس الأسلوب عن طريق الفحوص المخبريّة الأخرى كتخطيط القلب، والأشعّة القلبيّة فوق الصوتيّة، وقسطرة القلب وغيرها.

الثاني: اكتشف أطبّاء النفس بتكرار المشاهدة الحسّيّة أنّ المرضى الّذين يعانون من حالات الحزن واليأس وقلّة النشاط وفقدان الشهيّة أوعدم الالتذاذ بالطعام مع اضطراب النوم، فهم مصابون بمرض الاكتئاب النفسيّ فأحرزوا وجود علاقةٍ مستقبليّةٍ مستمرّةٍ أو غالبةٍ بين ذٰلك كلّه، بحيث لو وجد الطبيب النفسيّ هٰذه العلامات في أيّ مريضٍ فإنّه يشخّص بأنّه مصابٌ بالاكتئاب غالبًا.

الثالث: لاحظ الأطبّاء الروحانيّون بالتتبّع الحسّيّ أيضًا أنّ المرضى الّذين يعانون من الشعور بالخواء والعبثيّة، وفقدان معنى الحياة، وضعف القدرة على مواجهة مشاكل الحياة وآلامها؛ يعانون من مرضٍ معنويٍّ؛ نتيجة فقدان الرؤية الكونيّة الصحيحة أو تشوّشها لدى هٰذا المريض، وهٰذا عرضٌ ناجمٌ عن الفلسفة الوجوديّة للإنسان والعالم والحياة.

وبالتالي يعلمون أيضًا باستمرار هٰذه العلاقة بينهما في المستقبل، بحيث يستطيع الأطبّاء تشخيص الأمراض المعنويّة من خلال العلم

بهٰذه الأعراض.

ومن الملاحظ على المنهج الحسّيّ التجريبيّ أمران مهمّان:

- أنّ إعمام نتائجه بنحوٍ كلّيٍّ لا يمكن أن يتيسّر إلّا بالاعتماد على أصلٍ عقليٍّ غير محسوسٍ ولا مجرّبٍ، وهو أصل العلّيّة الّذي يقول إنّ الأثر الدائميّ أو الأكثريّ لا يصدر إلّا من علّته الذاتيّة؛ لاستحالة كون الأثر الاتّفاقيّ دائميًّا أو أكثريًّا؛ فهو يعتمد إذن في نتائجه الكلّيّة على مبادئ عقليّةٍ مجرّدةٍ.
- أنّ هٰذا المنهج قائمٌ على تكرار المشاهدة الحسّيّة في صدور الأثر عن المؤثّر؛ ولذٰلك فإنّه يبقى محصورًا في إطار الموضوعات المادّيّة المحسوسة، وهو أمرٌ في غاية الوضوح.

ومن هنا يتبيّن أنّ المنهج الحسّيّ التجريبيّ ـ الّذي يسمّونه بالمنهج العلميّ ـ لا يمكن أن يستكشف أحكام الموضوعات غير المحسوسة، كالنفس والروح؛ فلا يمكن اعتماده في الطبّ النفسيّ والروحيّ.

2. الصلاحيّة المعرفيّة للمنهج العقليّ:

بعد أن ثبت قصور المنهج الحسّيّ في نفسه عن كشف حقيقة الواقع المادّيّ بنحوٍ علميٍّ منطقيٍّ – فضلًا عن كشفه ما وراء الحسّ

ـ فلا داعي للتعنّت في حصر المعرفة البشريّة به، ورفض أيّ منهجٍ معرفيٍّ آخر بدون أيّ دليلٍ؛ لأنّ هٰذا هو الّذي أوقعنا في مستنقع المادّيّة، وحرم الإنسانيّة من أبعادها وكمالاتها المعنويّة، وهٰذا الحرمان الّذي أكّد أطبّاء النفس المعاصرون أنّه السبب الرئيس في حصول الأمراض المعنويّة، وفقدان معنى الحياة، وفلسفة وجود الإنسان في هٰذا العالم، وبالتالي شعوره بالخواء والعبثيّة.

كما أننّا لسنا في صدد إقصاء المنهج الحسّيّ، أو فرض أيّ منهجٍ معرفيٍّ آخر بلا مسوّغٍ علميٍّ، بل سنتعرّض بالفحص العلميّ الموضوعيّ الدقيق لتقييم المنهج العقليّ، لنتعرّف عليه في نفسه، وعمّا يمكن أن يقدّمه لنا بالإضافة إلى المنهج الحسّيّ التجريبيّ.

فدعونا الآن نستكشف سويًّا مبادئ المنهج العقليّ، فنقول في البداءة:

إنّ عمليّة التفكير هي حركة الذهن في المعلومات من المعلوم إلى المجهول، وبالتالي تمثّل المعلومات رأس مال المفكّر الّذي ينطلق منه للتفكير، واكتساب العلم والمعرفة الجديدة؛ ولذٰلك يقول الحكماء:

«كلّ تعليمٍ وتعلّمٍ فبعلمٍ قد سبق»[1]. لو كانت كلّ المعلومات الّتي في أذهاننا مبهمةً وغامضةً لم نتمكن من أن نفهم أيّ شيءٍ، ولم يمكننا تصديق أيّ شيءٍ. ولو كانت كلّها واضحةً لدينا، لعرفنا كلّ شيءٍ، وما شكّكنا في أيّ شيءٍ، ولٰكنّ الواقع والوجدان ينبئنا بأنّنا نفهم بعض الأشياء ونصدّق بها، ونجهل البعض الآخر، وهٰذه الأشياء المعلومة لدينا إمّا أن تكون واضحةً بذاتها لدينا، وإمّا أن تكون قد تمّ توضيحها بمعلوماتٍ واضحةٍ بذاتها عندنا، فلنبحث معًا عن تلك المعلومات الواضحة بنفسها لدينا.

فنقول: نحن إذا تأمّلنا معًا المعلومات الموجودة في أذهاننا، وقمنا بتحليلها، فسنجد أنّها تتفاوت في الوضوح والإبهام بالنسبة إلى عقولنا، فهناك بعض المفاهيم والتصوّرات الواضحة عند كلّ العقول لا تحتاج إلى من يبيّنها لنا، مثل مفهوم الذات والوجود والعدم، والاستحالة والإمكان، والشكّ واليقين و...، وهناك مفاهيم مبهمةٌ تحتاج إلى من يوضّحها لنا، مثل مفهوم الذرّة والبروتون، والطاقة، والنفس والروح. كما أنّ هناك أمورًا يصدّق بها العقل بنحوٍ تلقائيٍّ، ولا يشكّ في صدقها، ولا تحتاج إلى دليلٍ يدلّ عليها لوضوحها عند

---

1 - ابن سينا، برهان الشفاء، ص 57.

العقـل، مثـل وجـود الأشـياء المحسوسـة في الخـارج مـن الأجسـام والألوان والأشكال والأنغام، الّتي نؤثّر فيها، ونتأثّر بها، ومثل قاعدة امتناع اجتماع النقيضين، بمعنى امتناع اجتماع الصدق والكذب، والصواب والخطإ، كأن نحكم بأنّني الآن موجودٌ ومعـدومٌ في نفـس الوقت. أو اجتماع الضدّين، كأن نحكم بأنّ هٰذا الجسم أبيض وأسود في الوقت نفســه. أو قـانون السـببية مثـل ضرورة احتيـاج كلّ شيءٍ حادثٍ لم يكن موجودًا ثـمّ وجـد إلى سـببٍ يخرجـه مـن العـدم الى الوجود، فعندما يدقّ جرس الباب أو الهاتف، نعلم بأنّ هناك شخصًا على الباب، أو أنّه يتّصل بنا، وهٰكذا.

فهٰذه كلّها أمورٌ نصدّق بها مباشرةً، ويسلّم بها العقـل بتلقائيّـةٍ، ولولا مثل هٰذه المبـادئ العقليّـة البدهيّـة، لبطـل العلـم والتعلـيم والتعلّم، وما استطعنا أن نفهم أيّ شيءٍ أو نصدّق بشيءٍ.

وهناك على العكس من ذٰلك قضايا ومسـائل غامضـةٌ تحتـاج إلى دليلٍ يثبت صحّتها، مثل أنّ الجسـم يتركّـب مـن ذرّاتٍ، وأنّ الذرّة تتكوّن من إلكتروناتٍ وبروتوناتٍ ونيتروناتٍ، أو أنّ الطاقة تتحـوّل إلى مادّةٍ، والمادّة إلى طاقةٍ، أو أنّ هناك حياةً بعد الموت، وغـير ذٰلـك من القضايا غير البدهيّة الّتي تفتقر إلى دليلٍ يدلّ عليها.

وبناءً على ما بيّنّا، فإنّ القانون العقليّ المنطقيّ الصحيح المتعلّق بكيفيّة انتخاب المعلومات الصحيحة الّتي ننطلق منها في عمليّة التفكير، هو أن نبدأ تفكيرنا من مفاهيم واضحةٍ كهٰذه؛ لتوضيح المفاهيم الغامضة، أو أن نبدأ تفكيرنا بالاعتماد على قضايا واضحةٍ لإثبات القضايا غير الواضحة عند العقل؛ وبالتالي نكون قد بنينا تفكيرنا وأفكارنا على أسسٍ عقليّةٍ متينةٍ وواضحةٍ.

فهٰذا هو المنهج العقليّ في التفكير، ومن الواضح أنّ هٰذا المنهج المبتني على المبادئ الأوّليّة البدهيّة في الإدراك ـ مثل قانون امتناع التناقض، أو قانون السببيّة ـ يعدّ الأساس المنطقيّ لمطلق المناهج التفكيريّة الأخرى، بما فيها المنهج الحسّيّ التجريبيّ المبنيّ في إعمام نتائجه على قانون السببيّة، وفي إثبات نتائجه على قانون اجتماع النقيضين، وإلّا لصحّت وبطلت نتائجه في الوقت نفسه. وهٰذا معنى أصالة المنهج العقليّ، وحاكميّته على سائر المناهج المعرفيّة الأخرى، ومن الواضح أنّ أحكام هٰذا المنهج العقليّ تعمّ الموضوعات المادّيّة المحسوسة، والموضوعات المجرّدة غير المحسوسة، فلا معنى إذن لحصر المعرفة في المنهج الحسّيّ التجريبيّ، وحرمان العقل من البحوث الميتافيزيقيّة السامية.

3. طريق الصحّة والسعادة

السعادة في اللغة خلاف الشقاوة، وفي الاصطلاح إدراك الملائم، أي إدراك الشيء المناسب للمدرِك، وهو المنسجم مع طبيعته، وهو كمال المدرك؛ ولذٰلك كان كمال الإنسان هو حصول الشيء المناسب لطبيعته، وبالتالي الموجب لسعادته.

وكما اتضح في السابق أنّ المعنى الجامع بين الصحّة الجسميّة والنفسيّة والمعنويّة هو في بقاء الإنسان على حالته الطبيعيّة، بأن يعمل كلّ جزءٍ فيه على مقتضى طبيعته، وأن يكون الإنسان منسجمًا مع نفسه ومع البيئة الّتي يعيش فيها، ومن هنا يتبيّن أنّ الصحّة مفتاح السعادة ومن أجل الحفاظ على هٰذه الصحّة والبقاء على حالتنا الطبيعيّة، ينبغي أن نعمل على تحصيل ما ينفع طبيعتنا، واجتناب ما يضرّها.

إنّ طالب الصحّة والسعادة ينبغي أن يبحث عن كماله المناسب والمنسجم مع طبيعته في الواقع، لا بحسب ما يتوهّمه من كمالاتٍ؛ فكما لا يحقّق توهّم الصحّة حصولها بالفعل، كذٰلك لا يحقّق توهّم

السعادة حصولها في الواقع ونفس الأمر، وهٰذا يستلزم من الإنسان أن يتعرّف على طبيعة ذاته أوّلًا، ثمّ على طبيعة الأشياء من حوله ثانيًا؛ لكي يتمكن بعدها من تحقيق الانسجام المنشود؛ ولذٰلك كانت المعرفة الصحيحة هي الخطوة الأولى نحو الصحّة والسعادة.

وقد سبق وأن بيّنّا أنّ المنهج الحسّيّ التجريبيّ لا يصلح إلّا في معرفة أحوال الجسم، وبالتالي يصلح في تحقيق الصحّة الجسمانيّة والسعادة الحسّيّة، أمّا الموضوعات المجرّدة عن المادّة كالنفس والروح، فلا يصلح في معرفتها إلّا المنهج العقليّ التجريديّ المناسب لموضوعاتها المجرّدة عن الحسّ والمادّة.

وبعد الفراغ من هٰذه الأمور الثلاثة نعود للبحث حول الصحّة العقليّة بوصفها علمًا جديدًا، نريد أن نؤسّس له على أسسٍ عقليّةٍ جديدةٍ، بعد أن ثبت قصور المنهج التجريبيّ عن البحث في هٰذه الأمور المعنويّة غير المحسوسة، وسنقوم أوّلًا بتعريفه بناءً على تصوّراتنا الجديدة عنه، ثمّ نتحدّث عن معايير الصحّة العقليّة في نظرنا، ثمّ عن طرق العلاج العقليّ، ثمّ نختم بالبحث في الطبّ الوقائيّ العقليّ بناءً على المنهج العقليّ القويم.

أوّلًا: تعريف الصحّة العقليّة

مضى بنا في السابق أنّ الأطبّاء النفسانيّين عرّفوا الصحّة الروحيّة بأنّها «يجعل لحياتك معنى، فهي تدلّك على ماهيّتك ولماذا أنت هنا، وما هو الهدف من الحياة، وهي أعمق شيءٍ فيك يهبك القوّة والأمل والنشاط»[1].

كما أشار البعض لمعانٍ قريبةٍ من هٰذا المعنى، مثل[2]:

- هي الشيء الّذي يجعلنا نشعر بمعنى الحياة وهدفها.
- هي الّتي تجلب لنا الأمل في أوقات الشدّة والضياع.
- هي الّتي تشجعنا على إقامة أحسن العلاقات مع أنفسنا ومع الآخرين.

والمشكلة في هٰذه التعاريف أنّها لم تحدّد ما هو هٰذا الشيء الّذي يعطي حياتنا معنى، وكيف يمكنه تحقيق ذٰلك، وماهو الشيء الّذي يعطينا النشاط، ويهبنا الأمل، ويشجّعنا على الانسجام مع أنفسنا والآخرين؟

1- TRU Counseling Department.

2- The Royal College of Psychiatrists’ Spirituality and Psychiatry Special Interest Group.

ونحن نقول: بناءً على ما بيّنه الحكماء في المنطق والفلسفة الإلٰهيّة من حقيقة الروح الإنسانيّة بـالمنهج العقـليّ البرهـانيّ، فـإنّ الصـحّة العقليّة هي:

أن يعمل عقل الإنسان طبق القواعد العامّة الصحيحة للتفكير، وأن يتمتّع بالرؤية الكونيّة الواقعيّـة عـن الإنسـان والعـالم، وقيمـه الأخلاقيّة والاجتماعيّة الصحيحة، وأن تكون جميع رغباته الحيوانيّة والمادّيّة خاضعةً للأحكام العقليّة، ومنسجمةً مع طبيعته الإنسانيّة، وطبيعة العالم من حوله.

ثانيًا: معيار الصحّة العقليّة

سبق وأن بينّا أن الأطبّاء البشـريّين استخلصـوا معـايير الصـحّة الجسميّة، من خلال علمي التشريح ووظائف الأعضاء، عن طريـق استعمال المنهج الحسّيّ التجريبيّ المناسب للجسم الإنسانيّ، وبالتالي أصبح معنى الصحّة الجسميّة هو بقـاء الجسـم على حالتـه الطبيعيّـة المستكشفة من هٰذين العلمين، ويكون معنى المرض هو الانحـراف عن تلك الحالة الطبيعيّة.

والحكمـاء الّذيـن هـم في الواقـع أطبّـاء النفـوس والأرواح، قـد استطاعوا ـ ومن خلال استعمال المنهج العقليّ التجريـدي المناسـب

للروح الإنسانيّة ـ أن يكتشفوا قوانين التفكير العقليّ الطبيعيّة في علم المنطق، وتشريح النفس الإنسانيّة وقواها المختلفة، ووظائفها الطبيعيّة في علم النفس الفلسفيّ، كما اكتشفوا مبدأ الإنسان ومنتهاه في الفلسفة الإلٰهيّة بنحوٍ برهانيٍّ مستدلٍّ.

وسوف نشير باختصارٍ إلى نتائج هٰذه البحوث العقليّة بنحوٍ مختصرٍ يتناسب مع طبيعة هٰذه الكرّاسة، ومن أراد التفصيل فليرجع إلى المطوّلات من كتب المنطق والفلسفة الإلٰهيّة، فنقول:

- **قوانين التفكير الصحيح**: هي القوانين الّتي تنظّم عمليّة التفكير الإنسانيّ في انتقاله من المعلومات الحاصلة في ذهنه إلى المجهولات؛ لاكتساب العلم والمعرفة.

وقد تمّ بيان هٰذه القوانين بنحوٍ واضحٍ وبسيطٍ ـ كما أوضحناها باختصارٍ في صلاحيّة المنهج العقليّ ـ وبيّنوا في النهاية كماليّة الدليل العقليّ البرهانيّ من حيث ابتنائه على المبادئ العقليّة البدهيّة الأولى، وكونه الميزان الصحيح والدقيق للمعرفة الإنسانيّة.

- **الرؤية الكونيّة عن الإنسان**: أثبت الفلاسفة في علم النفس الفلسفيّ وبالبراهين العقليّة أنّ الإنسان مركّبٌ من جسمٍ مادّيٍّ، وروحٍ مجرّدةٍ عن المادّة، وأنّ هٰذه الروح لها قوّةٌ عقليّةٌ مجرّدةٌ، وقوًى نفسيّةٌ مادّيّةٌ منطبعةٌ في البدن، وأنّ القوة

العقليّة في الواقع مركّبةٌ من قوّةٍ مدركةٍ نظريّةٍ تسمّى بالعقـل النظريّ، وقوّةٍ محرّكةٍ عمليّةٍ تسمّى بالعقل العمليّ.

وكمال العقل النظريّ هو في المعرفة الواقعيّة الصـحيحة، وكمـال العقل العمـليّ هـو في السـيطرة على الغرائـز الحيوانيـة الجسـمانيّة، وتحصيل ملكة العدالة الأخلاقيّة.

- **الرؤية الكونيّة للعالم**: أثبت الحكماء في الفلسفة الإلٰهيّـة أنّ للعالم مبدأً إلٰهيًّا كاملًا وحكيمًا، خلق هٰذا العالم على أحسن صورةٍ، وأنزل عليـه الشرـائع السـماويّة عـن طريـق رسـله وأنبيائه؛ من أجل ايصاله إلى كماله المنشود؛ وأنّ هناك حياةً بعد الموت يجني فيها الإنسان ما زرعه في حياته الأولى في هٰذا العالم، من أفكارٍ اعتقاديّةٍ، وقيم أخلاقية، فيثاب المحسن، ويعاقب المسيء.

فهٰذه القوانين والرؤى تعدّ معيار الصحّة العقليّة، وبالتالي تكون الأمراض العقليّة انحرافًا عـن هٰـذه المعـايير ـ أي انحرافًـا في نمـط التفكير أو في الرؤية الكونيّة عن الإنسان والعـالم ـ ويلزمهـا عـدم القدرة على السيطرة على الغرائـز الحيوانيـة، والعجـز عـن تحصـيل الفضائل الأخلاقيّة.

يكون ذٰلك عن طريق التعليم والتربية العقليّين:

1. التعليم العقليّ:

يهدف النظام التعليميّ العقليّ إلى تقوية العقل النظريّ وتكميله، بحيث يتمكن الإنسان من خلاله من التعرّف على قوانين التفكير الصحيح، وبناء الرؤية الواقعيّة عن الإنسان والحياة، وكذلك قوانين السلوك الإنسانيّ الّتي تؤدّي إلى تحقيق المعرفة بمقوّمات الإنسجام الواقعيّ للإنسان مع نفسه وغيره، والوصول إلى السعادة الحقيقيّة.

وسنعرض هنا المنهج الدراسيّ العقليّ على حسب الترتيب الطبيعيّ الّذي يوجبه العقل السليم، والّذي أوصى به الحكماء؛ من أجل تحقيق الغاية المنشودة.

- دراسة علم المنطق؛ من أجل معرفة القوانين العقليّة للتفكير الصحيح، ويمثّل الخطوة الأولى على طريق الاستقامة الفكريّة، وبناء الفكر الصحيح.
- دراسة علم المعرفة؛ بهدف التعرّف على كيفيّة استعمال الأدوات المعرفيّة المتعدّدة من الحسّ والتجربة والعقل والنقل والقلب، بنحوٍ صحيحٍ ومنسجمٍ، بعيدًا عن التضارب والإفراط والتفريط.
- دراسة الهندسة ذات الموضوعات الواضحة والمحسوسة بنحوٍ

كاملٍ؛ مـن أجـل تطبيـق القواعـد المنطقيّـة بنحـوٍ سـهلٍ، واكتساب المهارة الاستدلاليّة التطبيقيّة والثقة في النفس من خلال هٰذه القواعد المنطقيّة، هٰذا بالإضافة إلى تنمية ملكـة البحث العلميّ الموضـوعيّ بعيـدًا عـن الأميـال النفسـانيّة، والضغوطات المذهبيّة والعرفيّة الّتي غالبًا ما تحرف الباحـث عن الوصول إلى النتائج الواقعيّة، وتميل بـه إلى طريـقٍ آخـر ينسجم مع اعتقاداته السابقة، وميولاته النفسيّة.

- دراسة الفيزياء الطبيعيّة؛ بهدف التعرّف على عالـم الطبيعـة المحيط بنا، بالإضافة إلى كون موضوعه أيضًا ـ وهو الجسـم ـ ظاهرًا بعوارضه، وباطنًا بذاته وحقيقته، فيكون متناسـبًا مع الانتقال التعليميّ التـدريجيّ للباحـث، مـن المحسـوس المطلق في الهندسة، إلى المعقول المطلق في الفلسفة، فيقـوّي من مهارات الاستدلال العلميّ، بالإضافة إلى المزيد من تنمية ملكة البحث العلميّ الموضوعيّ؛ إذ إنّ موضـوع الفيزيـاء ـ وهو الجسم ـ غير مقدّسٍ، وغير مسبوقٍ باعتقـادات قبليّـةٍ تحول بين الباحث وبين البحث الموضوعيّ، فيعتـاد الطالـب على البحث عن الأسباب الذاتيّة الواقعيّة للأشياء؛ بعيدًا عن التعصّبات والضغوطات المذهبيّة القبليّة، فيتخلـق بالنزاهـة

العلميّة في استدلالاته الفكريّة بعد ذٰلك.

- دراسة الفلسفة الإلٰهيّة: بعد أن تعرّف الباحث عن الحقيقة على قواعد التفكير الصحيح، وأتقن استعمال أدواته المعرفيّة بنحوٍ منسجمٍ، واكتسب مهارة الاستدلال والتحقيق، وتخلّق بملكة البحث العلميّ الموضوعيّ، يصبح عندها مؤهّلًا للخوض في المباحث الفلسفيّة الصعبة والدقيقة، والغائبة عن الحسّ، والمتعلّقة بالمباحث الاعتقاديّة الحسّاسة، والمؤثّرة في مصير الإنسان، فيتمكّن من بناء رؤيته الكونيّة عن الإنسان والعالم والمبدإ والمعاد بنحوٍ علميٍّ موضوعيٍّ، وبرهانيٍّ واقعيٍّ، مجرّدًا عن الظنون والأوهام والخرافات.

وبانتهاء البحث الفلسفيّ ينتهي ما يسمّيه الحكماء بالحكمة النظريّة المتعلّقة بما هو كائنٌ من الاعتقادات، ويصبح بعدها الطالب مؤهّلًا لدراسة ما يسمّى بالحكمة العمليّة المتعلّقة بما ينبغي أن يكون من الأفعال.

مع وجود أقسامٍ كثيرةٍ لعلم الأخلاق فإنّ دراسة علم الأخلاق الفلسفيّ أمرٌ ضروريٌّ؛ من أجل التعرّف على الفضائل الأخلاقيّة، وكيفيّة اكتسابها، وعلى الرذائل الأخلاقيّة، وكيفيّة اجتنابها، وهو ما

نسمّيه بقانون السلوك الأخلاقيّ، ويمثّل المنظومة القيميّة، الّتي ينبغي أن يطبق الإنسان سلوكه على أساسها في التعامل مع الناس؛ من أجل الوصول إلى ملكة العدالة النفسيّة الّتي يتمكن من خلالها أن يعطي نفسه حقّها، والآخرين حقوقهم بنحوٍ معتدلٍ، ومنسجمٍ مع الواقع، بعيدًا عن الإفراط والتفريط.

ـ دراسة علم الاجتماع لنفس الغرض القيميّ، ولٰكن على مستوى الأسرة والمجتمع البشريّ؛ ليكون إنسانًا صالحًا بكلّ ما تعنيه الكلمة، ونافعًا لمجتمعه الّذي يعيش فيه.

ـ دراسة علم السياسة المتعلّق بتنظيم العلاقة بين الحاكم والمحكومين، على أساس الرؤية الواقعيّة للحياة والإنسان والمجتمع البشريّ، والمنظومة القيميّة الحقوقيّة الّتي تمكن الحاكم من تحقيق العدالة الاجتماعيّة، الّتي هي الغاية القصوى من تشكيل الحكومة السياسيّة.

2. التربية العقليّة:

وتهدف إلى تقوية العقل العمليّ للإنسان وتكميله؛ من أجل تحقيق ملكة العدالة الّتي يتمكن الإنسان من خلالها من إعطاء نفسه حقّها، والناس حقوقهم.

وتحصيل هٰذه الملكة إنّما يتمّ من خلال تقوية الإرادة الإنسانيّة عن طريق المحفّزات المختلفة، والدخول في الرياضة النفسيّة، والممارسات العمليّة.

وهناك الكثير من التوصيات الّتي توصّل إليها علماء النفس الغربيّون في الصحّة المعنويّة، والّتي سبق وأن ذكرناها في بابها، وتصلح لأن تكون مؤثّرةً في مجال التربية العقليّة، وذٰلك من قبيل الوعظ والتوجيه والعبادة، والتفكّر والتأمّل الفلسفيّ، والاستماع إلى الأنغام والألحان الروحيّة السامية، وممارسة أعمال الخير والبرّ والإحسان. لٰكن مع الفارق، وهو كونها على أساسٍ علميٍّ منطقيٍّ صحيحٍ، ورؤيةٍ واقعيّةٍ عن الإنسان والحياة، وليست مجرّد مواعظ فارغةٍ، أو ممارساتٍ غير واعيةٍ، كما هو الحال في الغرب في العصر الحاليّ.

وقد جاء الدين الإلٰهيّ الأصيل والشريعة الغرّاء؛ من أجل ملء هٰذا الفراغ الروحيّ، ودعم التربية الإنسانيّة السامية، والوصول بالإنسان إلى أقصى كماله الممكن له.

رابعًا: الطبّ العقليّ الوقائيّ

وبالتأمّل فيما أوردناه من طرق الوقاية الطبّيّة الّتي اعتمدها الأطبّاء على المستوى الجسمانيّ والنفساني، نجد أنّها تسعى:

أوّلًا: إلى اجتناب حصول المرض باجتناب أسبابه المعروفة، وتقوية المناعة الصحّيّة لمقاومته.

ثانيًا: إلى الاكتشاف والتشخيص المبكّر للأمراض قبل ظهور آثارها على المريض عن طريق الفحوصات الطبّيّة الدوريّة، والسيطرة عليها أو علاجها في بدايتها.

ثالثًا: إلى احتوائها ومنع انتشارها وتفاقمها بعد ظهورها ورسوخها عند المريض بشتّى الطرق الدوائيّة أو الجراحيّة، مع السعي لإعادة تأهيل المريض واسترداد بعض مافقده أثناء مرضه.

ونحن من جانبنا سنسعى لوضع الطرق الوقائيّة بنفس مستوياتها الثلاثة المشهورة عند الأطبّاء، والمقبولة عندنا أيضًا؛ من أجل وقاية الإنسان من الإصابة بالأمراض العقليّة، وبالتالي المحافظة على استقراره الروحيّ والنفسيّ، ولٰكن اعتمادًا على منهجنا العقليّ القويم، وبناءً على ما بيّناه فيما مضى من موازين الصحّة العقليّة، وأسباب الأمراض المعنويّة، وطرق تشخيصها وعلاجها، على أن يقوم

الأطبّاء العقليّون المدرّبون على المنهج العقليّ بكلّ إجراءات الوقاية والعلاج:

أوّلًا: المستوى الوقائيّ الأوّل

للأصحّاء، ويتضمّن:

1.تقوية المناعة العقليّة

وذٰلك عن طريق:

أوّلًا: عقلنة النظام التعليميّ في المدارس والجامعات والمعاهد الدينيّة؛ لتعلّم قواعد التفكير الصحيح، وبناء منظومة الأدوات المعرفيّة المتكاملة والمنسجمة، وتشكيل الرؤية الكونيّة الواقعيّة عن الإنسان والعالم، ومعرفة المبادئ والقيم الأخلاقيّة والاجتماعيّة والسياسيّة الصحيحة، كما بيّنّا سابقًا.

ثانيًا: عقلنة الفنّ والثقافة: بترويج القيم والمبادئ العقليّة الإنسانيّة، في صورة قصصٍ أو أفلامٍ ومسرحيّاتٍ تؤصّل للقيم العقليّة والإنسانيّة، بعيدًا عن الفنّ المبتذل والتهتّك الأخلاقيّ، بحيث تصبح العقلانيّة أسلوبًا للحياة في شتّى المجالات.

2.اجتناب العوامل الداخليّة الممهّدة للانحراف الفكريّ

- اجتناب سرعة التصديق والحكم على الأشياء دون علمٍ أو تروٍّ، وعدم القبول إلّا بما هو واضح الصدق عند العقل.
- اجتناب العواطف والانفعالات النفسيّة في التصديق، واعتماد الموضوعيّة المنطقيّة في البحث عن الحقيقة، بعيدًا عن الضغوطات النفسيّة والعرفيّة والدينيّة.
- عدم الاعتماد الرئيسيّ في التفكير أو بنحوٍ منفردٍ على الأدوات المعرفيّة الأخرى المغايرة للعقل البرهانيّ، كالحسّ الظاهريّ والباطنيّ والمقولات الدينيّة والمذهبيّة، والأعراف البيئيّة والعادات والتقاليد الاجتماعيّة، بعيدًا عن العقل البرهانيّ، إذ يجعل كلّ ذلك الإنسان في معرض الابتلاء بالأمراض الفكريّة المختلفة والخطيرة.

3.استبعاد العوامل الخارجيّة الضارّة بالعقل الإنسانيّ

- منع الفنّ المبتذل المخالف للقيم العقليّة والإنسانيّة، فهو لا يعدو عن كونه رواشح فكريّةً، كالفنّ المثير للغرائز

الحيوانيّـة، المـروّج للخلاعـة والتهتّـك والعنـف والعقائـد الخرافيّة.

- منع التضليل الإعلاميّ الكاذب القـائم على أسـاس تحريـف المفاهيم الصـحيحة، وتشـويه القـيم والمبـادئ الإنسـانيّة، وتقبيح الخير وتحسين الشـرّ، والّذي هو من أخطر الجـرائيم الفكريّة المخرّبة للعقول البشريّة.
- حصـــر المنـاظرات الفكريّـة والمباحثـات الفلسـفيّة الحـرّة والتخصّصيّة في داخل الأروقة والمحافل العلميّة والأكاديميّة المغلقـة، بعيـدًا عـن عامّـة النـاس البسـطاء، المشـغولين بتحصـيل أمـورهم الحياتيّـة؛ حـتّى لا تتشـوّش أذهـانهم وتضطرب اعتقاداتهم ونفوسهم، ويختلّ الأمـن والاسـتقرار الفكريّ والاجتمـاعيّ، بشـــرط أن تكـون هٰـذه الحـوارات الفكريّة بنحوٍ حرٍّ مطلقٍ ومنفتحٍ، وبدون أيّ موانع فكريّـةٍ مسبقةٍ، على أن تكـون بـين الحكمـاء والعلمـاء المفكّـرين والخبراء المتخصّصين، وعلى أسـاس المـنهج العقـليّ العلـميّ الموضوعيّ المشترك بين الجميع.

ثانيًا: المستوى الوقائيّ الثاني

للأصحّاء والمرضى المبتدئين، ويشتمل على:

1.الفحص العقليّ الدوريّ

ينبغي إجراء الفحص الدوريّ للحالــة الفكريّــة المعنويّــة لســائر النــاس مــرّةً واحــدةً على الأقــلّ في كلّ عامٍ، تحــت إشراف الأطبّــاء العقليّين؛ للاطمئنان على سلامتهم العقليّة، ويهدف هٰذا الفحــص إلى:

- التشخيص المبكّر لأيّ انحرافاتٍ عقليّةٍ عندهم.
- التحذير من التلوّث بالشبهات الفكريّة.
- وضــع بــرامج توجيهيّــةٍ للمحافظــة على الصــحّة العقليّــة، واجتناب أسباب أمراضها.

2.العلاج الفوريّ لبذور الأمراض العقليّة

لا شكّ أنّ علاج المرض في بدايته وقبل رسوخه في العقل يكــون أسهل بكثيرٍ من نهايته، كما أنّ الســيطرة عليــه تكــون أيسرـ مــن

الناحية العمليّة.

والعلاج الحاسم يكون ببيـان مـوارد الشـبهة ونحـو الانحـراف، وتنبيه المريض من خطورتها المستقبليّة على صحّة الإنسان المعنويّـة والنفسيّة، ورفعها مـن أذهـان المـرضى بـالطرق المنطقيّـة العقليّـة البسيطة، بالإضافة إلى إخضاعهم لسلسلة من البرامج والمحاضرات العقليّة المكثّفة؛ لمنع انتكاستهم مرّةً أخرى.

ثالثًا: المستوى الوقائيّ الثالث

للمصابين بالأمراض العقليّة المتأخّرة، ويهدف إلى:

1.السيطرة على تفاقم المرض

وذٰلك عن طريق عزل المريض عن بيئته الملوّثة، وإدخاله إلى أحد مراكز الصحّة العقليّة تحت إشراف الأطبّاء العقليّين، ولمدّةٍ طويلةٍ، حيث يتمّ أوّلًا إجراء بعض الفحـوص الطبّيّـة والنفسـيّة لاسـتبعاد الأسباب العضويّة أو النفسيّة، ثمّ إخضاعه لسلسلةٍ مـن الجلسـات الحواريّة الهادئة والبنّاءة، في محاولةٍ أولى لاستئصال المرض من ذهنه، أو لا أقلّ من احتوائه ومنع استفحاله.

2. إعادة تأهيله

عرفت منظّمة الصحّة العالميّة عمليّة التأهيل الصحّيّ بالآتي:

«هي عمليّةٌ تهـدف إلى تمكـين المـرضى مـن العـودة إلى حـالتهم الطبيعيّة الأولى، على كلّ المسـتويات الجسـميّة والنفسـيّة والعقليّـة والاجتماعيّة، والمحافظة عليها بعد ذٰلك، وتمدّهم بـالأدوات الّـتي يحتاجون إليها للاستغناء عن الآخرين، واتّخاذ قراراتهم بأنفسهم»[1]. وتتمّ عمليّة التأهيل العقليّ من خلال برنامجٍ طويل المدى من العناية الصحّيّة المعنويّة؛ من أجل تغيير البيئـة والمحـيط الفاسـد حـوله، وتغييره تـدريجيًّا إلى محـيطٍ صـحّيٍّ معنـويٍّ مناسـبٍ، يسـاعده على استرداد صحّته العقليّة، والعودة إلى فطرته الإنسانيّة.

ويمكننا الاستفادة من بعض توصيات الأطبّاء العقليّين السابقة، بشرط أن تكون بعد الشروع في إصلاح الحالة العقليّـة للمـريض،

1- WHO “Rehabilitation of people with disabilities is a process aimed at enabling them to reach and maintain their optimal physical, sensory, intellectual, psychological and social functional levels. Rehabilitation provides disabled people with the tools they need to attain independence and self-determination”.

وعلى أساس الرؤية العقليّة الواقعيّة، كالتالي:

1ـ معاجة الأمراض العضويّة الّتي من الممكن أن تضرّ بطريقة التفكير الصحيح، كأمراض الدماغ أو الجهاز العصبيّ.

2ـ معالجة الاختلالات النفسيّة الحاصلة من الأمراض المعنويّة، سواءً عن طريق الأدوية الخاصّة أو جلسات العلاج النفسيّ.

3ـ التحرّر التدريجيّ من الأنماط التفكيريّة الخاطئة، والرؤى الفلسفيّة المنحرفة عن الحياة وما بعدها، وذٰلك عن طريق إخضاع المريض لسلسلة جلساتٍ من الحوارات الفكريّة أوّلًا؛ لتنبيهه على موارد الانحراف في فكره وتفكيره، ثمّ إدخاله ثانيًا بعد ذٰلك في دوراتٍ مكثّفةٍ في العلوم والمعارف العقليّة، ومهارات التفكير المنطقيّة؛ لتنظيم تفكيره وتصحيح رؤيته للحياة، وذٰلك بنحوٍ تدريجيٍّ؛ إمّا لإعادته إلى حالة الاعتدال، أو لا أقلّ من منع تفاقم المرض، والسيطرة على الوضع الفعليّ.

4ـ ممارسة الرياضات الذهنيّة المختلفة، لا سيّما الهندسيّة منها؛ لتقوية الذهن على التفكير المنطقيّ الموضوعيّ.

5ـ ممارسة التأمّل الفلسفيّ الميتافيزيقيّ حول فلسفة الحياة

والوجود، وذٰلك لمدّة ساعةٍ كلّ يومٍ، لا سيّما في بداية طلوع النهار.

6ـ محاسبة النفس، وتقييم أدائها اليوميّ في البعد الأخلاقيّ والاجتماعيّ، في نهاية اليوم قبل الدخول إلى النوم ليلًا.

7ـ الاهتمام بالجانب العباديّ المقرون بالتأمّل والتفكّر.

8ـ المشاركة في المراسم والفاعليّات الدينيّة في أماكن العبادة المختلفة.

9ـ المساهمة في أعمال الخير، ومساعدة المرضى والمحتاجين.

10ـ أن يقيس نفسه دائمًا إلى أصحاب البلاء والمآسي والمعدمين؛ ليشكر نعم الله تعالى عليه.

11ـ أن يدرك أنّ نعمة العقل هي أعظم النعم، الّتي بها يدرك السعادة الحقيقيّة، ويقنع بما عنده.

12ـ الاستمتاع بالطبيعة الخلّابة، لا سيّما في الأماكن المفتوحة، وعلى شواطئ البحار.

13ـ الاستماع إلى الموسيقى الخفيفة الرومانسيّة الهادئة، واجتناب

الاستماع إلى الموسيقى الصاخبة.

14ـ قراءة كتب الحكمة والمواعظ الأخلاقيّة وقصص الصالحين؛ لكي يعتبر بها.

15ـ تقوية العلاقات الأسريّة الحميمـة، والاحتفـاظ بالأصـدقاء الصالحين والعقلاء.

16ـ الأهمّ من كلّ هٰذا هو أن يتعلّم التوكل على الله والاستعانة به في أموره كلّها، وأن يحسن الظنّ به – تعالى – في الدنيا والآخرة.

إلى هنا نكون قد وصلنا إلى خاتمة البحث حول الصحّة العقليّة، ولا يبقى إلّا أن نشير إلى خلاصة النتائج الّتي توصلنا إليهـا، وبعـض التوصيات العامّة؛ من أجل إحياء المنهج العقليّ التجريديّ، وتهيئـة الأرضيّة لتأسيس الصحّة العقليّة.

النتائج:

من خلال هٰذا البحث المختصر توصّلنا للنتائج التالية:

1ـ أن الصحّة هي البقاء على الحالة الطبيعيّة.

2ـ البقاء على الحالة الطبيعيّة يضمن لنا الانسجام الموجب للسعادة، فالصحّة مفتاح السعادة.

3ـ الصحّة في الإنسان لها ثلاثة أبعادٍ: جسميّةٍ، ونفسيّةٍ، وعقليّةٍ.

4ـ الصحّة الجسميّة تعني أن يعمل كلّ عضوٍ من أعضاء جسم الإنسان طبق وظيفته الطبيعيّة، وبنحوٍ منسجمٍ مع سائر الأعضاء.

5ـ نجح الأطبّاء البشريّون باستعمالهم المنهج الحسّيّ التجريبيّ المناسب لجسم الإنسان، في اكتشاف معايير الصحّة الجسميّة، وبالتالي التمكن من تشخيص الأمراض المختلفة، وبنفس الطريقة اكتشفوا طرق العلاج المتعدّدة للأمراض الجسميّة، وحقّقوا نجاحاتٍ كبيرةً.

6ـ الصحّة النفسيّة تحقّق حالة الاستقرار النفسيّ، بأن يكون الإنسان منسجمًا مع نفسه، ومع الآخرين.

7ـ لم يتمكن أطبّاء النفس من تحصيل معايير علميّةٍ موضوعيّةٍ للصحّة النفسيّة؛ لاعتمادهم على المنهج الحسّيّ التجريبيّ للأطباء

البشريّين، مع كون موضوعهم غير محسوسٍ.

8ـ اعتمد أطبّاء النفس على نفس شكوى المـريض، أو الاعتمـاد على المعايير العرفيّة النسبيّة المتغيّرة في تعيين الصحّة النفسيّة.

9ـ الصحة المعنويّة (العقليّة) تعـني عنـدهم في الغـرب انسـجام رؤية الإنسان الفكريّة مع الحياة، بحيث لا يفقد الأمل فيها فيصاب باليأس والإحباط.

10ـ لم يستطع أطبّاء الصحّة المعنويّة من اكتشاف معايير الصحّة المعنويّة بنحو علمي موضوعي، بسبب اعتمادهم على المنهج الحسـّيّ التجريبيّ، مع كون الروح عندهم غير محسوسةٍ، وبالتالي لم يتمكّنوا بنحوٍ علميٍّ دقيقٍ من بيان مظاهر الأمراض المعنويّـة، إلّا بلوازمهـا البعيدة من كون الإنسان فاقدًا للأمل، ويائسًا من الحياة.

11ـ المنهج الصحيح والمناسب للصحّة النفسـيّة والمعنويّـة، هـو المنهج العقليّ التجريديّ المبتني على المبادئ العقليّة البدهيّة الفطريّة في الإنسان.

12ـ اكتشف الحكماء قوانين التفكير الصحيحة عند الإنسان في علم المنطق، كما اكتشفوا بها تشريح النفس الإنسـانيّة، ووظائفهـا الطبيعيّة في علم النفس الفلسفيّ.

13ـ اكتشف الحكماء بالمنهج العقليّ الرؤيـة الكونيّـة للإنسـان والعـالم المتعلّقـة بالمبـدإ والمعـاد، ووضـعوا على أساسـها المنظومـة

الأخلاقيّ والاجتماعيّة للسلوك الإنسانيّ في الحياة.

14ـ تمكّن الحكماء بعدها من وضع معايير الصحّة العقليّة للإنسان، وهي كون الإنسان يتمتّع بنمط التفكير الصحيح، ورؤيةٍ كونيّةٍ واقعيّةٍ عن الإنسان والمبدإ والمعاد، ورؤيةٍ أخلاقيّةٍ صحيحةٍ في التعامل مع الآخرين، وكلّ انحرافٍ عن هٰذه المعاير يجعل الإنسان مريضًا عقليًّا.

15ـ اعتمد الحكماء في علاج الأمراض العقليّة، على التعليم والتربية العقليّين اللذين يعتمدان على المنهج العقليّ البرهانيّ التجريديّ.

16ـ اعتمد الحكماء في الوقاية من الأمراض العقليّة على المراحل الثلاث الّتي يستعملها الأطبّاء البشريّون في الوقاية من الأمراض الجسميّة، وهي تقوية المناعة الفكريّة، واجتناب الرواشح الثقافيّة، ثمّ الفحص الدوريّ لاكتشاف الأمراض العقليّة في مهدها وعلاجها مباشرةً، ثمّ بعد ذٰلك احتواء الأمراض العقليّة بعد وقوعها لمنع استفحالها، والسعي لإعادة التأهيل الفكريّ للمريض.

التوصيات:

من أجل تفعيل الصحّة العقليّة وجعلها أمرًا واقعًا في المجتمعات البشريّة، نتمنّى من الجهات المختلفة أن تقوم بواجبها الإنسانيّ على النحو التالي:

1ـ أن تقوم منظّمة الصحّة العالميّة (WHO) بدورها في إعمام هٰذه الصحّة على كلّ بلدان العالم، بعد تطويرها وتقنينها، بعيدًا عن المنازعات والحسابات السياسيّة الضيّقة.

2ـ أن تقوم وزارات الصحّة في العالم بالاهتمام بهٰذا الموضوع، وتعميقه من الناحيتين الفلسفيّة والعلميّة بالتعاون مع الجهات المعنيّة، ثمّ حمايته بعد ذٰلك بالقوانين والمقرّرات اللازمة، كحمايتها للصحّة الجسميّة والنفسيّة.

3ـ أن يسعى المفكّرون والفلاسفة في الغرب والشرق إلى الاهتمام بالبحث العلميّ الموضوعيّ حول المنهج العقليّ التجريديّ، وعدم الإصرار على حصر المعرفة البشريّة في المنهج الحسّيّ التجريبيّ.

4ـ أن يسعى المثقّفون إلى المزيد من الانفتاح، والاطلاع على المنهج العقليّ والفلسفة العقليّة الحقيقيّة، وأن يقوموا بالترويج للثقافة العقليّة بين الناس، وفتح أبواب الحوار فيما بينهم بنحوٍ واسعٍ؛ من أجل ترسيخ المفاهيم العقليّة، ورفع مستوى التفكير عند الناس، لتمهيد الأرضيّة بعد ذٰلك لقبولهم للصحّة العقليّة واحترام الأطبّاء العقليّين، ومراكز التأهيل الفكريّ.

المصادر:

المصادر العربية:

1. الصحّة النفسيّة، د.حمزة گنجى، طباعة ونشر ارسباران، الطبعة الأولى.

2. برهان الشفاء، الشيخ الرئيس ابن سينا، منشورات ذوي القربى، الطبعة الأولى، 1430 هـ.

3. البناء المنطقيّ للعالم، كارناب، ترجمة يوسف تيبس، المنظّمة العربيّة للترجمة، بيروت، الطبعة الأولى، 2011م.

4. تاريخ الفلسفة الحديثة، يوسف كرم، دار العارف، الطبعة الخامسة، 1986م.

5. فرنسيس بيكون، آراؤه وأثاره، د. محسن جهانگير، دار الهادي، الطبعة الأولى، 2005م.

6. جون ستيوارت مل، د. توفيق الطويل، سلسلة نوابغ الفكر الغربيّ، العدد 6، دار المعارف، القاهرة.

7. تحقيقٌ في الذهن البشريّ، دايفيد هيوم، ترجمة محمد محجوب، المنظّمة العربيّة للترجمة، الطبعة الأولى، 2008م.

8. نقض العقل المحض، إيمانويل كانط، ترجمة موسى وهبة، مركـز الإنمـاء القوميّ، 2006م.

9. لسان العرب، ابن منظور، حوزه‌ى ادب، قم، 1405هـ.

المصادر الأجنبيّة:

1. TRU Counselling Department.
2. The Royal College of Psychiatrists’ Spirituality and Psychiatry Special Interest Group.
3. Strawbridge WJ, Cohen RD, Shema SJ, Kaplan GA. Frequent attendance at religious services and mortality over 28 years. Am J Public Health 1997;87:957–961.
4. Yates JW, Chalmer BJ, St James P, Follansbee M, McKegney FP. Religion in patients with advanced cancer. Med Pediatr Oncol. 1981;9:121–128.
5. Harris RC, Dew MA, Lee A, Amaya M, Buches L, Reetz D, Coleman C. The role of religion in hearttransplant recipients› long-term health and wellbeing. Journal of Religion and Health. 1995; 34 (1): 17–32.
6. Association of American Medical Colleges. Report I: Learning Objectives for Medical Student Education: Guidelines for Medical Schools. Medical School Objectives Project. Washington, DC: American Association of Medical Colleges; 1998.
7. TRU Wellness Centre.
8. Royal College of Psychiatrists.
9. Mc.Grath(2002):Creating a language for spiritual pain,pp:637.
10. TRU Counselling Department.

11. The Royal College of Psychiatrists’ Spirituality and Psychiatry Special Interest Group.
12. TRU Wellness Centre.
13. Mc.Grath(2002):Creating a language for spiritual pain,pp:637.
14. Katz, D., & Ather, A. (2009). Preventive Medicine, Integrative Medicine &The Health of The Public. Commissioned for the IOM Summit on Integrative Medicine and the Health of the Public.
15. Patterson, C., & Chambers, L. W. (1995). Preventive health care. The Lancet, 345, 1611-1615.
16. Katz, D., & Ather, A. (2009). Preventive Medicine, Integrative Medicine &The Health of The Public. Commissioned for the IOM Summit on Integrative Medicine and the Health of the Public. Retrieved
From.
17. WHO “Rehabilitation of people with disabilities is a process aimed at enabling them to reach and maintain their optimal physical, sensory, intellectual, psychological and social functional levels. Rehabilitation provides disabled people with the tools they need to attain independence and selfdetermination”.

المحتويات